سلسلة أعمال القلوب (٤)

الشهــوة

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الشهوة، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٣-٢٨١٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الإسلام والعقيدة أ. العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٤٠٣٥

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م





سلسلة أعمال القلوب (٤)

الشهـوة



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فالحديث عن الشهوة وما يعتريها من أحوال مطلب ملح لكل مسلم ومسلمة، لاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه مثيراتها، وغلب تأثيرها.

فما الشهوة؟

ولماذا خلقت؟

وما أسباب الوقوع في الشهوة المحرمة؟

وما علاج الشهوة المحرمة؟

هذا ما سنتطرق إليه في ثنايا هذا الكتاب، مع الشكر والدعاء بالتوفيق لكل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها.

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تعريف الشهوة

الشهوة لغة:

قال ابن فارس: (الشين والهاء والحرف المعتل كلمة واحدة، وهي الشهوة، يقال رجل شهوان، وشئٌ شهي)[(١)].

وقال الفيروز أبادي:(شهي الشئ وشهاه يشهاه شهوةً واشتهاه وتشهاه أحبه ورغب فيه)[(٢)].

الشهوة اصطلاحاً:

للشهوة عدة معانٍ أبرزها ما يلي:

هي فطرة غريزية جسدية جبل الله عليها عباده؛ لتحقيق غايات نبيلة وأهداف سامية.

هي شعور الرجل والمرأة بالرغبة في المعاشرة.

هي اشتياق النفس إلى الشيء.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٧١).

(٢) لسان العرب (١٤/ ٤٤٥).

لماذا خلقت الشهوة؟

قال ابن تيمية: (إن الله خلق فينا الشهوات واللذات لنستعين بها على كمال مصالحنا، فخلق فينا شهوة الأكل واللذة به، فإن ذلك في نفسه نعمة، وبه يحصل بقاء جسومنا في الدنيا، وكذلك شهوة النكاح واللذةُ به هو في نفسه نعمة، وبه يحصل بقاءُ النسل، فإذا استعين بهذه القوى على ما أمرنا كان ذلك سعادةً لنا في الدنيا والآخرة، وكنا من الذين أنعم الله عليهم نعمةً مطلقة، وإن استعملنا الشهوات فيما حظره علينا بأكل الخبائث في نفسها، أو كسبها كالمظالم، أو بالإسراف فيها، أوتعدينا أزواجنا، أو ما ملكت أيماننا، كنا ظالمين معتدين غير شاكرين لنعمته)[١].

فالشهوة إذن ليست مذمومة في حد ذاتها، ولكنها بحسب ما تستعمل فيه، فإن استعملت فيما ينفع وما أبيح فهي خيرٌ لصاحبها، وإلا فلا.

وفي هذا حكمة عظيمة، فبدونها لن تتحرك النفسُ لكسب

---

(١) الاستقامة (١/ ٣٤١-٣٤٢).

الولد، ولن تتحقق كثير من مقاصد الشارع جلَّ وعلا، فاقتضت حكمة اللطيف الخبير أن جعل فينا بواعث ومستحثات تثيرها لما فيه قوامنا وبقاؤنا ومصلحتنا، وإلا لكان في استدعاء الشهوة قسـراً كلفة عظيمة، قد تكون سبباً في الهلاك والشقاء.

ومن سنن الله في خلقه ابتلاؤهم بما شاء لحكم وغايات نبيلة، ومن ذلك ابتلاؤهم بالشهوة؛ ليميز الله المطيع من العاصي، والخبيث من الطيب.

قال مالك بن دينار: (من غَلَبَ شهوة الحياة الدنيا فذلك الذي يَفْرَقُ الشيطان من ظله)[١].

وقال الحسن البصري:

رُبَّ مَسْتُورٍ سَبَتْـهُ شَهْــوَةٌ
فَتَعَــرَّى سِتْـــرُهُ فَانْهَتَكــا

صَاحِبُ الشَّهْـوَةِ عَبْدٌ فَإِذَا
غَلَبَ الشَّهْوَةَ أَضْحَى مَلِكا[٢]

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٣٦٥)، ذم الهوى (٢٢).
(٢) روضة المحبين (٤٨٤)، ذم الهوى (٣٤).

وشهوة النساء من أعظم شهوات الدنيا، ولذا قدمها الله تعالى على غيرها من الشهوات؛ لعظم فتنتها، وقوة تأثيرها على الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠).
(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

أسباب الوقوع في الشهوة المحرمة

أولاً: ضعف الإيمان:

الإيمان سلاح المؤمن، وهو الحصن الحصين الذي يقي من الوقوع في مهاوي الرذيلة، وحينما يبتعد الإنسان عن الطاعات يضعف إيمانه ويتجرأ على الوقوع في المعصية، ولذلك قال بعضهم: (ثلاثة من أعلام التقوى: ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها، والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها، وردّ الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها)[١]، فهذه الأشياء الثلاثة فعلها يدل على أن في قلب فاعلها إيماناً وديناً عظيماً؛ لأنه يجد الحرام أمامه لكنه يتركه لله، ويرغم نفسه على العبادة والطاعة مع نفور النفس منها، ويرد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها.

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٣٩٣).

ثانياً: الرفقة السيئة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[1].

كثير من المعاصي التي يقع فيها الإنسان يكون الدافع لها هو صديق السوء.

يقول شاب عمره سبعة عشر عاماً عن بداية وقوعه في المعصية: (أول مرة شاهدت فيها فيلماً محرماً كان عند زيارتي لأحد أصدقائي، وعندما كنا في غرفته، أخرج فيلماً وقام بتشغيله، فشاهدته معه، وكانت هذه البداية).

فالله تعالى حرم البذاءة ومنع من الفحش فقال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ المؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّان وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**»[2].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه الألباني.

ثالثاً: إطلاق النظر:

النظر سهم مسموم من سهام إبليس، وقد حذر الله عباده المؤمنين منه فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

رابعاً: الفراغ القاتل:

إن فراغ الشباب يقودهم إلى التفكير في الحرام، ويطلق عنان خيالهم للتخطيط له، حتى يصبح هماً من همومهم، ويبدأون بممارسة العادة السيئة ونحوها من المهلكات.

والنفس إن لم تُشْغَلْ بالطاعة شُغِلَتْ بالمعصية.

وقد بين النبي ﷺ ذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

فالفراغ مصيبة عظيمة، ومفسدة للنفس إن لم يستغل بالمفيد والنافع.

خامساً: التساهل في الحرام:

التساهل في النظر إلى النساء ومخالطتهن كثيراً ما يؤدي إلى وقوع المرء في الفاحشة، مع أنه لم يكن يقصدها في البداية، ولكن التساهل في الحرام الأقل حرمة يؤدي إلى الحرام الأكثر حرمة.

فكم من أهل بيت تساهلوا في ترك الخادمة مع الشاب حتى عضوا أصابع الندم بعد ذلك!.

وكم من فتاة تركها أهلها منفردة مع السائق حتى أدى الأمر إلى ما لا تحمد عقباه!.

ونحو ذلك من التساهلات التي تجر إلى كثير من البلايا والموبقات.

سادساً: القرب من مثيرات الشهوة:

إن من أسباب الوقوع في الحرام القرب من مثيرات الشهوة،

ولأجل ذلك فإن الشارع حذر من الجلوس في الطرقات؛ لأنها مظنة أن يرى الإنسان فيها ما يثير شهوته.

عن أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**». فقالوا يا رسول الله: ما لنا بُدٌّ، من مجالسنا نتحدث فيها. قال: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَ**». قالوا: وما حقه؟ قال: «**غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، والأمرُ بِالْمَعْرُوفِ، والنهيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**»[١].

وحتى في أماكن العبادة والذكر فإن الشارع جعل صفوف النساء منفصلة عن صفوف الرجال، وأمر بتخصيص باب للنساء، وكان يتأخر ﷺ عن الانفتال للناس حتى ينصرف النساء؛ كل هذا ابتعاداً عن مثيرات الشهوة.

ومن المثيرات أيضا: الموسيقى والأغاني، والأماكن المختلطة كالمطاعم والملاهي، والقنوات الفضائية الهابطة، ومواقع الشبكة العنكبوتية التي تنشر الرذيلة، والمجلات التي تحتوي على الصور الماجنة.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٦٥) ومسلم (٢١٢١) واللفظ لمسلم.

كيف تتعامل مع الشهوة؟

إذا عرضت الشهوة للمسلم، وتزين له الحرام بأنواع الزينة، وسهلت عليه الأمور، وتهيأت له الظروف، فكيف يتعامل مع هذه الحالة؟!.

هناك ثلاث قواعد تعين المسلم على تجاوز هذه المحنة، وتساعده على التخلص من هذا المأزق، وهي:

أولاً: قل معاذ الله:

الإيمان بالله والخوف منه صمام الأمان، وهو العاصم للعبد من مواقعة الحرام، والانسياق وراء الشهوات.

(معاذ الله) قالها يوسف عليه السلام فأعاذه الله، وصرف عنه كيد النسوة، ويقولها بعض من يستظل بظل العرش يوم لا ظل إلا ظل عرش الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ، ومنهم... وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله**»[1].

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

قال ابن حجر: (والظاهر أنه يقول ذلك بلسانه ليزجرها عن الفاحشة، ويحتمل أن يقولها بقلبه)[(١)]، ومواطئة القلب واللسان في هذه الحال شيء عظيم، وأثره كبير، ولا تصدر مثل هذه الكلمة (معاذ الله، إني أخاف الله) في مثل ذلك الموطن إلا من عبد راقب الله، وجعل سره وعلانيته سواء، فخاف الله في السر كما يخافه في العلن.

والمؤمن إذا تربى على مراقبة الله ومطالعة آثار أسمائه في الواقع فإنه سيثبت أمام الشهوات، وسينجو من مزالقها، ومن ثَمَّ يفوز بالجنة التي أزلفت لمن خشي الرحمن بالغيب: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾ [ق:٣١-٣٣]. أي: يخشى الرحمن إذا غاب عن أعين الناظرين.

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِـي ظُلْمَـةٍ   وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحِ مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا   إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي[(٢)]

---

(١) فتح الباري (٢/ ١٤٥-١٤٦).
(٢) نونية القحطاني (٢٥).

وقال الشافعي:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فَلَا تَقُلْ
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الله يَغْفَلُ سَاعَةً
وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ(١)

المؤمن إذا تربى على مثل هذه المعاني وعمل بمقتضاها فإنه يصبح ذا خلق سوي، وينشأ تقياً لا تستهويه مادة، ولا تستعبده شهوة، ولا يتسلط عليه شيطان، ولا تعمل النفس الأمارة بالسوء عملها في نفسه، بل إنه يصيح إذا دعته الشهوة المحرمة قائلاً: إني أخاف الله معاذ الله، وإذا وسوس إليه الشيطان قال له: ليس لك علي سلطان.

وإذا زين له قرناء السوء طريق الفاحشة والمنكر أسكتهم بقوله: لا أبتغي الجاهلين، العبد الذي يتربى على هذا حقيق بأن تؤثر فيه كلمة (اتق الله) إن قارب الحرام يوماً.

وتأمل في حال ذلك الرجل، وهو أحد الثلاثة الذين نجاهم

(١) شعب الإيمان (٥/ ٤٦١).

الله من الغار عندما انطبقت عليهم الصخرة؛ بسبب أعمال صالحة كانت لهم، يقول: «اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدتُّهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَـمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدِرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، -وفي رواية: اتَّقِ الله وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ- فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ»[1].

فتأمل حال هذا العبد كيف قارب الحرام هذه المقاربة، وقعد من حبيبته مقعد الرجل من امرأته، وقدر عليها، فزال عن ذلك الموقع بكلمة (اتق الله)، وقام عنها وهي أحب الناس إليه!.

إنه الإيمان الصادق بالله تعالى، الذي يثمر لصاحبه خشية الله ومراقبته في الغيب والشهادة.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٧٢).

القاعدة الثانية: احذر خائنة الأعين:

قال الله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى خائنة الأعين: (هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غض بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض)[١].

وقال سفيان: (الرجل يكون في المجلس يسترق النظر إلى المرأة تمر بهم، فإن رأوه ينظر إليها اتقاهم فلم ينظر، وإن غفلوا نظر، هذه خائنة الأعين، ﴿ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ ما يجد في نفسه من الشهوة)[٢].

وليعلم العبد أنه موقوف بين يدي الله، وسيسأله عن عمله. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء:٣٦] فهو مسئول عن هذه النظرة، والتي هي سهم مسموم من سهام إبليس، وهي رائد الشهوة.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٧).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ٧٨).

ولذلك كان الربط بين أول خطوات الحرام وآخرها في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠].

فأمر الله المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، ولا ينظروا إلا لما أباح لهم، فإذا اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً.

لماذا قدم غض البصر على حفظ الفرج؟

السر في تقديم غض البصر على حفظ الفرج: (لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور)[1].

يقول ابن القيم: (والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان؛ فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولابد، ما لم يمنع منه مانع، وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده.

(١) روح المعاني للألوسي (١٨/ ١٣٩)، تفسير النسفي(٣/ ١٤٣).

ولهذا قال الشاعر:

كُـــلُّ الحَـوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ بَلَغَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا
كَمَبْلَغِ السَّهْمِ بَيْنَ القَوْسِ وَالوَتَرِ
وَالعَبْــدُ مَا دَامَ ذَا طَـرْفٍ يُقَلِّبُـهُ
فِي أَعْيُنِ الغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الخَطَرِ
يَسُـــرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَـرَّ مُهْجَتَـهُ
لَا مَرْحَباً بِســرُورٍ عَـادَ بِالضَّـرَرِ

ومن آفاته: أنه يورث الحسرات والزفرات، فيرى العبد ما ليس قادراً عليه ولا صابراً عنه)[١].

فهؤلاء الذين يذهبون إلى الأسواق ويرون النساء وهنّ متبرجات؛ تتقطع قلوبهم حسـرة وألماً وكمداً.

وقد يقول قائل: إنّ أكثر هذه النظرات لا تنتهي بالزنا، ولا يذهب معها للحرام!.

---

(١) الجواب الكافي (١٠٦).

ولكنا نقول: إن هذه النظرات تنتهي بحسرة وألم؛ لأنه يرى أمامه فتناً لا يمكنه الوصول إليها، فيبقى متحسراً متألماً، وربما حاول ففشل، فيبقى متحيراً متأوهاً.

ثم قال ابن القيم: (وهذا من أعظم العذاب، أن ترى ما لا صبر لك عنه ولا عن بعضه، ولا قدرة لك عليه، قال الشاعر:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً
لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ الـمَنَاظِـرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلّهُ أَنْــتَ قَـادِرٌ
عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

وكم من مرسل لحظاته فما أقلعت إلا وهو يتشحط بينهن قتيلاً، كما قيل:

يَا نَاظِراً مَــا أَقْلَعَــتْ لَحَظَاتُــهُ
حَتّـَى تَشَحَّطَ بَيْنَهُــنَّ قَتِيــلَا

وأعجب من ذلك أن النظرة تجرح القلب جرحاً، فيتبعها بجرح على جرح، ثم لا يمنعه ألم الجراح من استدعاء تكرارها.

مَا زِلْتَ تُتْبِــعُ نَظْـرَةً فـي نَظْـرَةٍ
فِي إِثْرِ كُــلِّ مَلِيحَــةٍ وَمَلِيــحِ

وَتَظُنُّ ذَاكَ دَوَاءَ جُرْحِكَ وَهْوَ فِي التـ
ـتَحْقِيـقِ تَجْرِيحٌ عَلَى تَجْرِيــحِ
فَذَبَحْتَ طَــرْفَكَ بِاللِّحَاظِ وَبِالبُكا
فَالقَلْبُ مِنْكَ ذَبِيحٌ ايُّ ذَبِيــحِ

وقد قيل: إن حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات)[١].

إنّ حال من ينظر للحرام كحال الذي يشرب من ماء البحر، أتراه يرتوي؟ كلا، بل لا يزداد بالشــرب إلا عطشاً، ولا تزيد بالنظر شهوته إلا تهيجاً.

وتأمل في هذا الحديث الذي ربط بين خيانة العين والوقوع في الفواحش: عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانُ الـمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**»[٢].

وتأمل مدى قبح هذه النظرة الحرام حتى وصفت بالزنا، فلا شك أن نفس المؤمن تنفر من ذلك.

---

(١) الجواب الكافي (١٠٦-١٠٧).
(٢) رواه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧).

يقول ابن الجوزي: (فاحذر يا أخي -وفقك الله- من شر النظر، فكم قد أهلك من عابد!، وفسخ عزم زاهد! فاحذر من النظر فإنه سبب الآفات، غير أن علاجه في بدايته قريبٌ، فإذا كُرِر تمكن الشر فصعب علاجه)[١].

إن النظرة كأس مسكر، وسكره العشق، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر؛ لأن سكران الخمر يفيق، وسكران العشق أنّى يُفيق.

والنظر والشهوة يقودان إلى العشق، وهذا مرض آخر خطير جداً من مفسدات القلوب، فاحذر هذا السهم لأنه إن لم يقتلك جرحك، وإذا تكاثرت الجروح تحقق الهلاك.

نظر الفجأة:

عن جرير بن عبد الله ﵁ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفُجَاءَةِ؟ فأمرني أن أصرف بصري[٢].

والفجاءة: أن يقع بصره على الأجنبية بغتة من غير قصد[٣].

---

(١) ذم الهوى (٩٤).
(٢) رواه مسلم (٢١٥٩).
(٣) تحفة الأحوذي (٨/ ٤٩).

وحكم هذا النظر أنه لا إثم عليه في أول الأمر، ولكن يجب أن يصرف بصره في الحال، وإلا ركبه الإثم حال إدامته للنظر[١]، عن ابن بريدة عن أبيه ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي ﵁: «**يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ**»[٢].

أي: لا تعقبها إياها، ولا تجعلها أخرى بعد الأولى، فإن لك النظرة الأولى إذا كانت من غير قصد، وليست لك الآخرة لأنها تمت باختيارك.

وبهذا يظهر لك فساد قول بعض الهازلين الذين يقولون بجواز استدامة النظرة الأولى ما لم تغمض العين.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام:٤٦] فالبصر نعمة من الرب، ينبغي على العبد أن يخشى عليه أن يذهبه الله بسبب معاصيه.

---

(١) تحفة الأحوذي (٨/ ٤٩).

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٧٧٧) وحسنه.

ولغض البصر عن الحرام فوائد كثيرة، منها:

١- امتثال أوامر الرب وفي ذلك سعادة وأجر.

٢- سلامة القلب من أثر السهم المسموم.

٣- يورث القلب أُنساً بالله واجتماعاً عليه، ولا يجد ذلك من أطلقه في الحرام؛ لأن قلبه يتشتت، فلا يمكن أن يجتمع على الله ومحبته.

٤- يقوي القلب ويفرحه، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

٥- يُكسب القلب نوراً، كما أن إطلاق البصر يكسبه ظلمةً.

٦- يورث العبد بصيرة وفراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصدق والكذب، وهذا يفيده في سائر تعاملاته مع الناس، ويعينه على اتخاذ القرارات السديدة، والمواقف الرائدة.

٧- يورث القلب شجاعة وثباتاً، فيجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة.

٨- يسد على الشيطان مدخلاً؛ لأن النظر بوابة القلب الكبرى.

٩- يفرغ القلب للفكرة الصالحة والاشتغال بها؛ لأن الواحد إذا صار قلبه مشغولاً بصور النساء والمردان والعشق فكيف

يتدبر في آية؟ وكيف يفهم استنباطاً من حديث؟ وكيف يفقه قولاً من أقوال الفقهاء؟ وكيف يتفكر في السماوات والأرض؟.

١٠- صلاح القلب لأن العين والقلب بينهما منفذ وطريق متصل يوجب انفعال أحدهما بالآخر، وتأثر هذا بهذا، فيصلح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا صلحت منظورات العبد صلح قلبه، وإن فسدت فسد قلبه؛ لذلك قال ﷺ: «**اضمَنُوا لِي سِتّاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**»[1].

القاعدة الثالثة: دافع الخطرة:

إن الخواطر السيئة تمرض القلب، ومتى انساق العبد معها ولم يدافعها تطورت وصارت فكرة، فهمٌّ، فإرادة، فعزيمة، فإقدام، ففعل وارتكاب للحرام... فحذارِ من الاسترسال مع الخطرات.

الخطرات شأنها صعب، فمبدأ الخير والشر خاطرة، فإذا

(١) رواه الإمام أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه الألباني.

دافعت الخاطرة من أول الطريق ملكت زمام نفسك وقهرت هواك، وإذا غلبتك خواطر الحرام فإنك ستنزلق في الهاوية.

ولا تزال الخواطر تتردد على القلب حتى يشربها، فإذا تشربها صارت مُنىً باطلة ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩].

وأردأُ الناس هِمَّةً من رضي بالأماني الكاذبة وتحلى بها؛ لأنها رؤوس أموال المفاليس، وهي رأس مال البطالين، وأضر شيء على الإنسان لأنها تنبت العجز والكسل والتفريط.

ومتى ما استرسل العبد مع الخواطر وقع في الحرام، وليس هناك علاج بعد ذلك إلا استفراغ الخبث من النفس بالتوبة النصوح.

ولو تأمل العبد بين لذة الذنب ولذة العفة، وبين لذة الذنب ولذة القوة وقهر العدو، وبين لذة الذنب ولذة إرغام الشيطان ورده خاسئاً ؛ لاختار ما يكون سبباً لصلاح ظاهره وباطنه.

واعلم أن النفس لها خواطر رحمانية من الرحمن، وخواطر شيطانية من الشيطان، وخواطر نفسانية من النفس.

والنفس أمارة بالسوء، ليس من شيء عملي إلا ويسبقه شيء نظري، فلا تصدق أن شيئاً عملياً حصل في الواقع فجأة دون مقدمات نظرية في النفس وفي العقل وفي الذهن وفي القلب، لابد أن يكون هناك تصورات مسبقة.

وكلما كان الإصلاح في مرحلة مبكرة كانت القضية أهون وأسهل، وكلما بادر الإنسان كان الإصلاح أسرع.

والإنسان لا يمكن أن يميت خواطره؛ لأن الخواطر تهجم هجوماً على الإنسان ولا يمكنه أن يتحكم فيها.

والشيطان كان يوقع في نفوس بعض الصحابة أشياء سيئة جداً عن الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**». قالوا: نعم. قال: «**ذَاكَ صَرِيحُ الإِيْمَانِ**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه مسلم (١٣٢).

فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه يُعَرِّضُ بالشيء لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به. فقال: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الوَسْوَسَةِ**»[(١)].

أي: الحمد لله أنه ما استطاع الشيطان أن يأخذ منكم وينال إلا هذه الخاطرة والوسوسة التي أنتم تكرهونها، فكراهيتكم لها تدل على إيمانكم الصريح.

وهذه الخواطر لابد أن تعالج، فكيف يفعل المسلم إذا هجمت عليه؟.

١- يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢- يحاول أن يستبدل الخواطر الشيطانية بخواطر إيمانية؛ لأن النفس مثل الرحى لابُدَّ لها من شيء تطحنه، فمن جعل في رحاه حباً خرج الطحن دقيقاً، ومن جعل في رحاه رملاً وتبناً خرج الناتج كذلك.

---

(١) رواه أبو داود (٥١١٢)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

ومن الخواطر الطيبة التي تفيد في طرد الخواطر الشيطانية:

- التفكر في عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي خلق السماوات والأرض.
- العلم الشرعي، وهو من أعظم ما يشغل الإنسان به نفسه، وهناك من العلماء من لا يجد وقتاً للحرام لأن باله كله مشغول بالعلم الشرعي، ومشغول في حل مشكلات المسلمين.
- التفكر في الآخرة وأهوالها، كالموت، والقبر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصـراط، والجنة، والنار.
- التفكر في الكسب الحلال، كالتجارة، والوظيفة، واستثمار أوقات الفراغ في شيء يعود عليه بالنفع الدنيوي الحلال.

قال ابن القيم:

(وجماع إصلاح ذلك أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك: التوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلى الدخول إلى الجنة أو النار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها، وفي باب الإرادات والعزوم أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته، وطرح إرادة ما يضـرك إرادته،

وعند العارفين: أن تمني الخيانة وإشغال الفكر والقلب بها أضر على القلب من نفس الخيانة)[١].

فما دامت القضية تبدأ بالخواطر، والخاطرة تتحول إلى إرادة فعزيمة فَهَمٌّ، فلابد من إشغال النفس في كل مرحلة من هذه المراحل، وليس فقط في مرحلة الخواطر، فعلينا معالجة الخواطر وما بعدها.

قال ابن القيم:
(دافع الخطرة، فإن لم تفعل صارت فكرة فدافع الفكرة، فإن لم تفعل صارت شهوة فحاربها، فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة، فيصعب عليك الانتقال عنها)[٢].

ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد.

---

(١) الفوائد (١٧٦).
(٢) الفوائد (٣١).

فإن قلت: ما الذي يُعينني على طرد هذه الوساوس وعدم الاسترسال معها؟

نقول: يعين على ذلك أمور، يترتب بعضها على بعض:

١- الإيمان والعلم الجازم أن الرب مطلع على ما في الخواطر ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩] ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه:٧] فإذا استحى العبد من أن ينظر ربه إلى ما في نفسه فيرى هذه الخواطر المشينة حاول العبد أن يبتعد عنها، وهذه قضية جديرة بالاهتمام.

٢- التأمل: إذا هجمت على قلبك الوساوس السيئة والأفكار المشينة فتأمل في عظمة الخالق سبحانه، واستحضر أسماءه وصفاته وأنه: عظيم، جبار، قهار، شديد العقاب، كبير، متعال.

٣- الاستحياء: إذا علمت قدرة الله واطلاعه على ما في الخواطر فاستحي منه، وحاول الابتعاد عن هذه الخواطر والأفكار. وتأمل حالك إذا دخل عليك أحد معارفك أو أصدقائك وأنت تفعل فعلاً مشيناً، ماذا تراك صانع؟! فالله أولى أن يُستحى منه.

٤- إجلال الله سبحانه وتعالى.

٥- الخوف من أن تسقط بتلك الخواطر من نظر الرب سبحانه، وتصبح لا قيمة لك عنده.

٦- الغيرة على القلب، فتحاول أن لا يسكنه غير محبة الله سبحانه.

٧- أن تخشى من تلك الخواطر أن تستعرّ فتأكل الإيمان الباقي في القلب.

٨- أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحب للطائر، يُلقيه الشيطان ليصيد به الإنسان، فكل خاطرة منها هي فخ منصوب.

٩- أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان.

١٠- أن تعلم أن الخواطر بحور خيال لا ساحل لها ولا آخر، من دخل فيها غرق.

كيف نعالج الشهوة؟

من رحمة الله بعباده أنه لم يتركهم هملا، ولم يخلقهم سدى، بل أنزل لهم ديناً قِيَماً فيه علاج وإصلاح لكل ما اعوج من شئون حياتهم، ومن ذلك الشهوة المحرمة، فقد جعل الله لها علاجات عدة تسكن ثورانها، وتكبح جماحها، ومنها:

١ـ الزواج:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ**»[١].

الباءة: هي القدرة على الجماع ومؤنة النكاح، فإذا استطاع الإنسان النكاح وتاقت نفسه إليه، فعليه به.

إن الزواج من السبل التي يقضي بها الإنسان على شهوات نفسه بالمصرف الحلال الذي شرعه الله له، وهي سنة الأنبياء

(١) رواه مسلم (١٤٠٠).

والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قال ﷺ لمن حرم على نفسه الحلال: «**لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَتَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَنْكِحْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ**»[2].

وبالزواج يحفظ الإنسان دينه وإيمانه، وبالزنا يُنزع عنه النور الذي كان يتحلى به.

كان ابن عباس رضي الله عنهما له غلمان اصطفاهم يعلمهم، وكان يقول لهم: (إن أردتم النكاح أنكحتكم؛ فإن العبد إذا زنا نزع الإيمان من قلبه)[3].

---

(١) رواه مسلم (١٤٠١).

(٢) رواه ابن ماجة (١٨٤٦)، وصححه الألباني.

(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٣).

وقال لهم أيضاً: (تزوجوا؛ فإن العبد إذا زنا نزع منه نور الإيمان)[(١)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج)[(٢)]، أي: لا يكتمل دين الرجل العابد إلا بالزواج، فلا يزال الأعزب في دينه نقص من جهة احتمال ما يطرأ عليه من الوقوع في هذه المحرمات.

والزواج لمن خاف على نفسه الوقوع في الحرام أوجب من الحج المفروض، والذي هو ركن من أركان الإسلام، فمن لم يستطع الجمع بين الحج والزواج فعليه أن يقدم الزواج على الحج.

والمرأة الصالحة معينة على شطر الدين:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ رَزَقَهُ الله امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ الله فِي الشَّطْرِ الثَّانِي**»[(٣)].

قال المناوي: (لأن أعظم البلاء الفادح في الدين: شهوة

(١) تاريخ دمشق (٥٠/ ١٢٣) وذم الهوى (١٩٣).
(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٣).
(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢٦٨١) وصححه ووافقه الذهبي.

البطن، وشهوة الفرج. وبالمرأة الصالحة تحصل العفة عن الزنا وهو الشطر الأول، فيبقى الشطر الثاني وهو شهوة البطن، فأوصاه بالتقوى فيه؛ لتكمل ديانته وتحصل استقامته، وقيد المرأة بالصالحة لأن غيرها وإن كان تعفه عن الزنا؛ لكن ربما تحمله على التورط في المهالك، وكسب الحطام من الحرام)[(١)].

قال القرطبي: (على الإنسان إذا لم يصبر في هذه الأزمان أن يبحث عن ذات الدين؛ ليسلم له الدين)[(٢)].

أجر في النكاح ووزر في السفاح:

ومن المصالح الخاصة في النكاح الحصول على الأجر من هذه الشهوة، ففي الحديث: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟!، قال: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[(٣)].

(١) فيض القدير (٦/ ١٧٧).
(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٢٩).
(٣) رواه مسلم (١٠٠٦).

قال النووي: (وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، أو منعهما جميعاً من النظر إلى الحرام، أو الفكر فيه، أو الهم به، وغير ذلك من المقاصد الصالحة)[١].

فالزواج من أهم الأمور التي تنقذ الشباب من تفكيرهم في هذه الشهوة؛ لأنه يحمي من الهم في الحرام والتفكير فيه.

معونة الله للناكح طالب العفاف:

قد وعد الله على لسان رسوله ﷺ بالمعونة للناكح الذي يريد العفاف؛ لأن الله يريد من العبد أن يهذب غريزته، وأن يوجه شهوته للأمور المباحة التي أحلها، وليس الانفلات في الحرام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى الله عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله، والمكاتَبُ[٢] الَّذِي يُرِيدُ**

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ٩٢).

(٢) المُكاتَب: بضم الميم وفتح التاء اسم مفعول من كاتب، وهوالرقيق الذي تم عقد بينه وبين سيده على أن يدفع له مبلغا من المال نجوما ليصير حرا.معجم لغة الفقهاء (١/ ٤٥٥).

الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ»[(١)]. والمقصود بالعفاف: العفة عن الزنا.

وإذا لم تندفع الشهوة بزوجة واحدة، وخاف المسلم على نفسه الوقوع في الحرام؛ وجب عليه التعدد، وإذا كانت تندفع شهوته بالواحدة، ولكن يجد المشقة بالاكتفاء بها فيستحب له التعدد.

٢ـ الصوم:

إن الصيام يحفظ الشباب ويحميهم من الوقوع في فاحشة الزنا، ولذلك أرشدهم النبي ﷺ لهذا العلاج.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[(٢)].

قال ابن القيم: (فأرشدهم إلى الدواء الشافي الذي وضع لهذا الأمر – وهو الزواج–، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل،

---

(١) رواه الترمذي (١٦٥٥) وحسنه.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠).

وهو الصوم؛ فإنه يكســر شهوة النفس، ويضيق عليها مجاري الشهوة، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته، فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها، والصوم يضيق عليها ذلك، فيصير بمنزلة وجاء الفحل، وقلّ من أدمن الصوم إلا وماتت شهوته أو ضعفت)[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله عز وجل: «... **والصَّوْمُ جُنَّةٌ** »[(٢)].

جُنَّة: أي وقاية وستر. فالصيام يقي النفس من انبعاث الشهوة وثورانها، ووقوعها في المحرمات؛ لأن الأكل يقوي الشهوة.

قال القرطبي: (كلما قلّ الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصي)[(٣)].

---

(١) روضة المحبين (٢١٩).

(٢) رواه البخاري (٧٤٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٢٧٥).

٣- استهلاك طاقة الجسم فيما ينفع:

على الشباب أن يستغلوا طاقات أجسامهم، ويستهلكوا أوقاتهم، في الأعمال الصالحة المتنوعة، وخاصة الأعمال الاجتماعية والدعوية التي يكون فيها خلطة مع الآخرين؛ كالدعوة إلى الله، وإعانة المحتاجين، والمشي في حوائج المسلمين، وتنظيم المشروعات الخيرية، وغير ذلك مما فيه مجهود وعمل دؤوب.

٤- عدم إثارتها عند الآخرين:

إن العصر الذي نعيش فيه اليوم هو عصر شهوات، وتبرج، وسفور، وانحلال، وتصوير، وتجميل الصور، ومكياج، وزينة، ودور أزياء، وملابس مغرية: شفافة وقصيرة وضيقة، والإنسان يرى في هذا العصر ما لم يره أجدادنا في العصور السابقة.

لقد وجدت في هذا العصر الدراسات النفسية في تصميم الأزياء، وكيف تصبح الملابس مثيرة للشهوات، وفرغت لها عقولٌ ذكية متخصصة في هذا المجال؛ لإيقاع الناس في غمرة هذه الشهوات.

وقد سمعنا كثيراً بعض من يقول عندما يرى بعض النساء في بعض الملابس: لو كانت عارية لما ظهرت بهذا الجمال؛ لأن اللباس أظهرها بشكل أجمل مما هي عليه.

ومن ذلك البرقع الذي يبرز جمالاً في المرأة غير حقيقي، بحيث لو كشفت عن وجهها لذهب هذا الجمال، ولكنها تضع هذا البرقع وتضع الكحل حتى تفتن الشباب بمنظرها.

لقد أنشأ اليهود دوراً لعرض الأزياء وتصميمها، وأطلقوا قنوات شبه إباحية لعرض هذه الأزياء، وأصبح الناس يطلبون تلك الأزياء بمتابعتهم لهذه القنوات وما تنتجه تلك الدور، وأصبحت المصانع تضخ للناس وتصنع لهم هذه الموضات والأزياء الحديثة، فلا تكاد تجد في السوق لباساً محتشماً، بل أكثر الملابس مصممة بتصميم مغرٍ.

٥ـ إتيان أهله إذا رأى امرأة أعجبته:

إن الشهوات في هذا العصر ليست خاصة بغير المتزوجين، بل هي متعدية إلى المتزوجين أيضاً، وقد يكون المتزوج أكثر فتنةً بهذه الشهوات من غير المتزوج؛ لأنه قد جرب النساء وعاشرهن، ومن عرف طعم الشيء ليس كمن لم يعرفه.

لذلك على المتزوجين أن يراعوا هذا الأمر في أنفسهم، فإذا وقعت في نفسه الشهوة بسبب صورة محرمة، أو امرأة متبرجة، فعليه أن يسارع إلى إتيان امرأته لقضاء وطره، وتنفيس رغبته.

عن جابر رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ رأى امرأة، فأتى امرأته زينب وهي تَمْعَسُ مَنِيئَةً لها، فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدَكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**»[(١)].
وفي رواية: «**فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا**»[(٢)].

(رأى امرأة): هذا محمول على نظرة الفجأة، أو أنه كان قبل نزول آية الحجاب.

(تمعس منيئة): أَصل المَعْس المَعْك والدَّلْكُ للجِلْد بعد إِدخاله في الدِّباغ، ومَعَسَه مَعْساً دلَكه دَلْكاً شديداً.. والمَنِيئَة المَدْبَغَة[(٣)].
أي: أن زينب رضي الله عنها كانت تدلك الجلد تمهيداً لدبغه.

(١) رواه مسلم (١٤٠٣).
(٢) رواه الترمذي (١١٥٨)، وصححه الألباني.
(٣) لسان العرب، مادة: معس (٦/ ٢١٩).

وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ جالسا في أصحابه، فدخل ثم خرج وقد اغتسل، فقلنا: يا رسول الله، قد كان شيء؟ قال: **«أَجَلْ، مَرَّتْ بِي فُلَانَةٌ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ، فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا، فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَمَاثِلِ أَعْمَالِكُمْ إِتْيَانُ الحَلَالِ»**[(١)].

قال النووي: (يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته فليواقعها؛ ليدفع شهوته، وتسكن نفسه، ويجمع قلبه على ما هو بصدده، والشيطان يدعو للافتتان بالمرأة؛ لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة الشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له، ويستنبط من هذا أنه ينبغي لها أن لا تخرج بين الرجال إلا لضرورة، وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها، والإعراض عنها مطلقاً)[(٢)].

وقد يستغرب البعض من هذه الصراحة الموجودة في

---

(١) رواه أحمد (١٧٥٦٧)، وصححه الألباني.

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٧٨).

الحديثين، وإذا عرف السبب بطل العجب؛ فإن المسألة خطيرة، وقد صرح النبي ﷺ بصنيعه لأهميته، وليتعلم المسلمون منه.

٦ـ منع النساء من الخروج إلا للضرورة:

إن المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان، وزينها في أعين الناظرين، وجعل الناس يرونها أجمل مما هي عليه حقيقةً؛ ليوقعهم في مصائد الشهوات والفواحش.

لذلك على أولياء الأمور أن يمنعوا مولياتهم من الخروج إلى الشوارع والأماكن العامة إلا للضرورة، حفاظاً على شرفها وعفتها، وكبحاً للشهوات المستعرة في هذا الزمان.

٧ـ الإكثار من العبادات المنزلية:

لا تجعل بيتك قبراً لا ذكر فيه ولا دعاء، ولا عبادة ولا طاعة، بل اعمره بطاعة الله تعالى، واجعل فيه موضعاً مخصصاً لأداء الصلاة، ومصحفاً للتلاوة، وآلة لسماع القرآن،ومكتبة عامرة بعلوم الكتاب والسنة وما فيه نفع للأسرة في دينها ودنياها. فذلك يجعل الإنسان مقبلاً على ربه، ويخفف نداء الشهوة لديه.

٨ـ الدعاء:

الدعاء هو السلاح الذي لا يخون في النوائب والملمات، السلاح الناجع الذي ينبغي على المؤمن أن يستعمله في كل وقت وحين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو الله بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ الله إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا؛ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ**». فقال رجل من القوم: إذاً نكثر. قال: «**الله أَكْثَر**»[(١)].

وتأمل في نبي الله يوسف عليه السلام ماذا دعا في حال الشهوة والدعوة إلى المحرم؟ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤].

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٣)، وقال الألباني: حسن صحيح.

وقد كان من هدي النبي ﷺ تعليم الصحابة أدعية لمواجهة الشهوات، فعن شَكَل بن حميد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاء. قال: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي**»[1].

فاستعاذ من شر المني، والمقصود به شر الشهوة.

وكان ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى**»[2]، فكان يسأله العفاف المطلوب لعلاج الشهوة.

فإياك والاغترار بنفسك، فتبتعد عن الدعاء وتأمن المكر؛ فإن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما أمن على نفسه عبادة الأصنام، بل دعا ربه قائلاً: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فلم يسأل الله الوقاية من الصغائر فحسب، بل سأله الوقاية من الشرك الأكبر!.

فلا تقل: أنا شاب متدين، أنا إمام، أنا خطيب، أنا داعية،

---

(١) رواه أبو داود (١٥٥١) والترمذي (٣٤٩٢) والنسائي (٥٤٥٦)، وصححه الحاكم.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢١).

أنا واعظ، أنا طالب علم.. فكل واحد يُخشى عليه من الفتنة، وما دمنا نخشى على أنفسنا فلابد أن نلجأ إلى ربنا بالدعاء.

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤].

إِذَا لَمْ يَكنْ عَوْنٌ مِنَ الله لِلْفَتَى
فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[١]

٩ـ التأمل في خطورة الانسياق وراء الشهوات المحرمة:

قال يحيى بن معاذ: (من أرضى الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات)[٢].

وقال عبد الصمد الزاهد: (من لم يعلم أن الشهوات فخوخ فهو لعاب)[٣].

فإذا تأمل الإنسان مفاسد الزنا والفاحشة في الدنيا والآخرة؛ أدرك خطورة الانسياق وراء الشهوات المحرمة.

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٦/ ١٧٧).
(٢) ذم الهوى (٢٧).
(٣) ذم الهوى (٣١).

من قصص أهل العفاف

لقد حفل لنا التاريخ بأناس ماتوا، ولكنهم أحياء بسيرهم وقصصهم النافعة، إنهم أولئك الذين صبروا عن شهوتهم لله عزّ وجلّ، فخلد الله ذكرهم، ونشر سيرهم.

ومن هؤلاء:

يوسف عليه السلام:

نبي الله الكريم عليه السلام الذي وقع في فتنة تكاد تكون أعظم فتنة بين رجل وامرأة عرفها التاريخ،فيتعرض في بيت المُلْك لفعل الفاحشة، وتيسر له كل السبل كما ذكره الله في كتابه العزيز: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف:٢٣].

ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد، بل تستمر المطاردة ويزيد الطلب،حتى استبقا الباب هارباً منها، وقطعت قميصه من

دبر، وعندما جاء زوجها عزيز مصر كذبت على يوسف عليه السلام، وفاوضته على عدم دخول السجن مقابل فعله الفاحشة.

فأبى، ودخل السجن، وتحمل ألمه وأذاه، هرباً من الشهوة المحرمة.

والناظر في هذه القصة يرى توفر جميع الدواعي التي تسهل لنبي الله يوسف عليه السلام هذه الفاحشة، فقد كان عزباً، والعزب ليس له مصرف يصرف فيه شهوته! وغريباً، والغريب لا يستحي مما يستحي منه ابن البلد، ولا يخشى الفضيحة لغربته.

وكانت المرأة ذات منصب وجمال. وكان خادمها، ولها عليه الأمر والنهي، ولم يكن دخوله إلى البيت مريباً، بل يستطيع دخوله متى شاء! وكان الرقيب (زوجها) غائباً! وكان الزوج قليل الغيرة، فعندما سمع بالخبر لم يتخذ الإجراءات المتوقعة، بل اكتفى بأمر يوسف بالإعراض، وأمر زوجته بالاستغفار! وكانت الدعوة منها مما أسقط الحواجز النفسية، وسهل الأمر عليه، مع مطاردتها له وتهديده بالسجن، واستعانتها بكيد النسوة، مع ذلك كله صبر وصابر واعتصم بربه ومولاه.

فانظر كيف قاوم نفسه، فأعقبه الله عَزَّ وَجَلَّ الدرجة العالية الرفيعة، واستخلصه واصطفاه، وجعله من المحسنين المخلصين.

* فما الأسباب و المقومات التي كانت عند يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى صبر؟:

أولاً: خوفه من الله سبحانه.

ثانياً: إعانة الله وتوفيقه له، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٤].

وقوله تعالى: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ أبلغ من (لنصرفه عن السوء والفحشاء)؛ لأن الآية تدل على أن السوء والفحشاء قد صرفا عنه، بحيث لو أراد هو أن يقع فيهما لم يستطع؛ لأنه لا يجدهما.

ثالثاً: فراره من سبب المعصية، لم يقل: إني أخاف الله رب العالمين، وقعد في البيت. بل قالها وهرب منها، وحاول الخروج من باب البيت.

إن مغادرة مكان المعصية تعين على النجاة من الشهوة المحرمة، والبقاء بين أطرافها تشجع على الحرام، وتغري به، فاهرب بجلدك من أماكن الحرام.

رابعاً: استعانته بالدعاء ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف:٣٣].

خامساً: كونه صالحاً تقياً ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

سادساً: اختياره الأذى على فعل الفاحشة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف:٣٣].

إن في هذه القصة من العبر والعظات ما يوجب على المسلم – خاصة الشباب – اتخاذ العبرة، والاستفادة من دروسها، وألاّ يمر عليها مرور المستعلم المستكشف فحسب، بل المتعلم المستفيد.

قصة جريج العابد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... كَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجاً. فَتَعَرَّضتْ لَهُ فَكَلَّمَتْهُ، فَأَبَى، فَأَتَت رَاعِياً فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَاماً، فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْج. فَأَتَوْهُ وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الغُلَامَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي..»[١].

فانظر كيف أنطق الله الغلام تكريماً ورفعة لشأن جريج حيث ترك هذه المرأة مع قدرته عليها قدرة تامة خشية من الله؟!

قصة الربيع بن خثيم:

فقد طلب رجال من قومه من امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠).

ونستفيد من هذا أن هناك من شياطين الإنس من لديه الاستعداد أن ينفق أمواله في سبيل إفساد أهل الإصلاح؛ كيداً للدعوة وحرباً للدين.

فلبست المرأة أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة.

فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟!.

أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟!.

أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟!.

فصرخت صرخة، وسقطت مغشياً عليها.

ثم إنها بلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق[(١)].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٩١).

قصة السري بن دينار:

نزل السري بن دينار في درب بمصر، وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بجمالها، فعلمت به المرأة، فقالت: لأفتننه. فلما دخلت من باب الدار تكشفت وأظهرت نفسها، فقال: مالك؟ فقالت: هل لك في فراش وطيء وعيش رخي. فقال:

وَكَمْ ذِي مَعَاصٍ نَـــالَ مِنْهُنَّ لَذَّةً
وَمَاتَ فَخَلَّاهَا وَذَاقَ الدَّوَاهِيَا
تَصَرَّمُ لَذَّاتُ الـمَعَاصِي وَتَنْقَضِي
وَتَبْقَى تِبَاعَاتُ المَعَاصِي كَمَا هِيَا
فَيَـــا سَوْأَتَـــا والله رَاءٍ وَسَامِـعٌ
لِعَبْدٍ بِعَيْنِ الله يَغْشَى المَعَاصِيَا[1]

قصة أبو بكر المسكي:

قال ابن الجوزي: (قيل لأبي بكر المسكي: إنا لنشم منك رائحة المسك مع الدوام، فما سببه؟ فقال: والله لي سنين

(١) ذم الهوى (٢٥٣) وروضة المحبين (٣٣٩).

عديدة لم أستعمل المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت علي حتى أدخلتني دارها، وأغلقت دوني الأبواب، وراودتني عن نفسي، فتحيرت في أمري، فضاقت بي الحيل، فقلت لها: لي حاجة إلى الطهارة. فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة، ففعلت، فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة، وألقيتها على جميع جسدي، ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتني دهشت، ثم أمرت بإخراجي، فمضيت واغتسلت.

فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام مَنْ يقول لي: فعلت ما لم يفعله غيرك، لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة. فأصبحت والمسك يفوح مني، واستمر ذلك إلى الآن)[١].

ومن قصص النساء:

بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ببيوت المسلمين يتفقد أحوالهم إذ سمع امرأة وهي تقول:

(١) المواعظ والمجالس (٢٢٤).

تطاول هذا الليل وَاسْـــوَدَّ جانبـه
وأرقني إذ لا حبيــب ألاعبـــه
فلولا الذي فوق السموات عرشه
لزعزع من هذا السـرِيرِ جوانبه

فأصبح عمر ﷺ، فأرسل إليها، فقال: أنت القائلة كذا وكذا؟ قالت: نعم، قال: ولِمَ؟ قالت: أجهزت زوجي في هذه البعوث، قال: فسأل عمر رضي الله عنه حفصة رضي الله عنها: كم تصبر المرأة من زوجها؟ فقالت: ستة أشهر، فكان عمر بعد ذلك يقفل [يرجع] بعوثه لستة أشهر(١).

(١) مصنف عبدالرزاق (٧/ ١٥٢)، سنن البيهقي (٩/ ٢٩).

من قصص الساقطين في مستنقع الشهوات

على نقيض هؤلاء الصابرين حفل التاريخ بقصص أناس لعنوا، وقيل فيهم ما قيل ممن سقطوا في مستنقع الشهوات.

- ففي سنة ٢٧٨هـ توفي عبده بن عبد الرحيم -قبحه الله-، هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون يحاصرون بلدة من بلاد الروم؛ إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن، فهويها فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت: أن تتنصر وتصعد إلي.

فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غماً شديداً، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان، ما فعل قرآنك؟! ما فعل علمك؟! ما فعل صيامك؟! ما فعل جهادك؟! ما فعلت صلاتك؟!.

فقال: اعلموا أني أنسيت القرآن كله، إلا قوله: ﴿ رُّبَمَا

﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٢-٣][(١)].

- ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم المسجد للأذان والصلاة فيه، وعليه بهاء الطاعة ونور العبادة، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دارٌ لنصراني، فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها، فترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟ وما تريد؟ قال: أريدك. قالت: لماذا؟ قال: قد سلبت لبي، وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبداً. قال: أتزوجك. قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبي لا يزوجني منك. قال: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعل.

فتنصر الرجل ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلم يظفر بها، وفاته دينه[(٢)].

نسأل الله الثبات!

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٧٤).

(٢) الجواب الكافي (١١٨).

الخاتمة

إن الشهوة التي يعاني منها الشاب والفتاة لم تخلق لأهل الفساد وحدهم، فالصالحون والصالحات الذين يعيشون حالة التسامي والعفة، والذين يشتغلون بالدعوة وطلب العلم وتعليم الخلق ونشر الخير تدعوهم أنفسهم إلى مقارفة الشهوات، بل ربما كانت الشهوة لدى بعضهم أقوى مما لدى المعرضين، ولكنهم كبحوا جماح شهوتهم طاعة لربهم ورغبة في ثوابه.

فمن عاين بعين بصيرته هذه الدنيا نال خيرها ونجا من شرها، ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس فعاد عليه بالألم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل بيننا وبين الحرام برزخاً وحجراً محجوراً، وأن يجعلنا من الذين إذا أساؤوا استغفروا، وإذا أحسنوا استبشروا، وأن يجعل هوانا فيما يحب ويرضى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١- ما المقصود بالشهوة؟.

٢- اذكر ثلاثة أسباب تؤدي للوقوع في الشهوة المحرمة.

٣- لغض البصر فوائد كثيرة، اذكر أبرزها.

٤- كيف نعالج الشهوة المحرمة؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١- لماذا خُلقت الشهوة؟.

٢- إذا تعرضت لك شهوة محرمة، فكيف تتعامل معها؟.

٣- لماذا قُدِّمَ غض البصر على حفظ الفرج؟.

٤- كيف تتعامل مع الخواطر السيئة؟.

٥- ماذا نستفيد من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز؟.

المحتويات